

فؤاد حجازى

العمــــــرة

رواية

الطبعة الثانية

فؤاد حجازى

أدب الجماهير

- - - - - -

كتاب أدبي يشرف عليه :

فؤاد حجازى

المراسلات:

عمارة الفردوس، جوار مدرسة الشيخ حسنين، المنصورة.

تليفون:

٣٤٧١٦٨

٠٥٠

الغلاف والرسوم الداخلية : مجدى سرحان

العمرة

١

أوقفت الآلات فجأة، أجهض هديرها، لم يزل أثر شخللتها، الأكوان والغرابيل .. والمجارى الخشبية رابضة، متحفزة، غريب عليها صمتها، يبدو كل دور بهياكله المختلفة كجمل عظيم، ذى أسنمة متعددة، ورقاب شتى، يوشك أن يضرب بالجلة، ثم حدث ماألجمه، ولكن التحفز لم يزل فى العينين، أسنمته المتعددة لم تغادرها الحرارة والحمية.

ليل مضرب الأرز لم يتعود سماع صرير الضفادع الحاد، لم يتعود عبث الريح بالأشياء، فاض الأرز الأصفر على جانبى البركة، العمال يتراجعون في تراخ، يترددون في إزاحة أجولة الخيش التى تغطى ظهورهم، صنعوا منها زعابيط، غطت رءوسهم، وبدت كأهرامات صغيرة أعلى هاماتهم.
أناخ العمال ظهورهم في عدة أكواخ طينية تواجه بوابة المضرب، لارغبة في شيء. العادة أن تدور غابة الجوزة فدارت، تتقد الجمرات فى الحجر، تخبو عيونهم فى قنوط، ينطفىء نورها، إلام يفيض الأرز على جانبى البركة، متى تعود العين الخشبية الصغيرة الهائلة في أسفل وخارج مبنى الآلات ذى الطوابق الخمسة إلى النهم الذى لايشبع، تبلع محاصيل أرز محافظة بأكملها دون تخمة، تسف الأرز بسرسته الصفراء، بطينته، بشوائبه. يصب العمال أجولة لاتنتهى، يحافظون على ولائهم للبركة في أن يستمر تدفق نهر الأرز الأصفر دوما، متى تدور السواقى، متى تسحب الأرر فى السكك الخشبية حتى الدور الخامس، وتبدأ لعبة تعرية الأرز بين الأدوار، فلا يخرج إلا أبيض نظيفا.
لايتدفق شلال الأرز ساعة، بعض ساعة، يوما، بعض يوم، عمال زهورات فى لحظة يتحولون إلى وفورات، أيام البطالة دون أجر والمعدة لاتعرف البطالة، الصغار والنساء لاينسون مواعيد تناول الطعام.
قال قاسم:
ــ المواسير تآكلت.. السيور تهرأت.. سلك المناخل أصبح أوسع من اللازم.

ضاع صوته . .

قال العاصي :

ـــ المباني تهدمت . . دورات المياه غير صالحة . .

تبددت كلماته . .

قال قاسم وشاركه عمال آخرون :

ـــ السقوف ضعيفة . . لابد من إعادة توزيع الآلات فوقها . . وإلا حدثت انهيارات .

أصغى من ليس بيده الحل والربط .

قاسم يزعق في لجنة الاتحاد الاشتراكي :

ـــ لابد من تغيير بعض السقوف فورا .

بيانات تروح . . تقارير ترفع . .

العاصي يرجو . يهدد . يتوعد .

قاسم غلب غلابه :

ـــ الطبالي الخشبية انبرت . . السكك الخشبية رقت وانبعجت .

العاصي وعمال ورديته :

ـــ العمرة نصف السنوية ضرورة ملحة .

مجلس الإدارة :

ـــ ضاعفوا الناتج .

قاسم :

ـــ العمرة تزيد الناتج .

المدير الفني وعضو مجلس الإدارة :

ـــ لاوقت للعمرة .

تدور الآلات ، تشخلل أحيانا ، يشتعل سير جلدى ، يشب حريق ،

يصلح التالف، الجزاء على المتسبب، دائما ينتهي التحقيق بإدانة عامل النوبة.
الآلات تزمجر، تحتك ببعضها بعضا في غضب.
ــ وقفة للتشحيم والتزييت.
ــ لاوقت للدلع أيها العمال
ــ التشحيم ضروري للآلة.
ــ شحموا وأنتم تعملون، زيادة الناتج أمانة في أعناقكم.
قاسم يصيح، يقنع، يتكلم، يصبر، يحرك في اللجنة النقابية.
الفلاح الفصيح يشكو. يرفع مظلمته.
أهو فلاح فصيح واحد..؟
أين كافة الفصحاء عبر الزمن..؟
الملك أعجبته طريقة شكايته.. ماذا لو لم تعجبه..!؟
ليل المضرب لم يتعود الركود، لم يتعود الإصغاء لغزل الصراصير، الطارة فوق الساقية تلف دون السير الداخلي، الطارة نعمت، المدير الفني كان طباخا عند أحد الإقطاعيين، كثر استهلاك الصماويل والمواسير، الطارة لفت دون السير الداخلي، أحد الإقطاعيين عضو مجلس إدارة. اضطراب داخل الساقية، الساقية لم تعد تسحب الأرز من البركة، الأرز الأصفر فاض على الجنبين، تحقيق مع المتسبب، والخصم من المتسبب، تلاشت أصوات العمال، ترتفع زفرات أنفاسهم، ولأن العادة أن تدور غابة الجوزة، فقد دارت، كركرة مياه الجوزة تسمع في ليل المضرب البطال، احتكاك الملاعق والسكاكين بأطباق الصيني يحدث صخبا في بيوت أعضاء مجلس الإدارة.

الطباخ مدير فني، درجة رابعة، أصبح نائبا لمدير المضرب، هوايته: فرد الأرز.. ولم الأرز.. وتهوية الأرز.
ــ العمرة ياناس.
المصنع يدور شهورا متواصلة، يتراكم العادم، ويمنع التغذية بالزيت، ينصهر الصلب، تخرفش الأقلام على الورق في التحقيقات، وتخرفش مرة أخرى في توقيع الجزاءات.
دقات بعد منتصف الليل على باب قاسم، لم يلفظ كلمة واحدة، دائما يحتاجونه، ولايصرفون له أجر العمل الإضافي، دلف من البوابة بغضب، عبر الباحة الأمامية، مر بالمخازن. مبنى الآلات هامد في ليل المضرب الساكن، فرقعة بسيطة من احتكاك عود كبريت بعلبته، جذب نفسا عميقا حزينا، رده في إدراك لما جرى، وفي إدراك لما تنبئه به نفسه، تفكيره ليس محصورا في اصلاح مافسد، هو على ثقة بتلمس يده السريع لسبب العطب، فكره محصور في العمال الحزاني بالأكواخ الطينية. في الطابق الأول، إحدى عينيه تتفحص القوى المحركة، بينما الأخرى مغمضة قليلا. تخطاها مسرعا إلى الطابق الثاني، طوال خمسة عشر عاما لم يدخن سيجارة وحده أبدا، ولايستطيع، دائما يخمسون معه، تحسس بيده وبصره المجاري الخشبية، مدشات تقشير الأرز من عباءاته الصفراء، الفرازات، أكوان التبييض، صعد إلى الدور الثالث، وهو مخزن لماكينات الدور الثاني، وبه بعض الغرابيل، لم يستوقفه شيء، ألقى علبة سجائره خالية، كأنه يدخن الغضب، جال بين غرابيل الطابق الرابع، غرابيل هزازة، غرابيل إعادة، فحص السواقي بينها، غرابيل فصل

السرس والطمى والشعير ، غرابيل الرجيع والجرمة، غرابيل فصل الكسر ، بينما يهم بصعود الدور الخامس برز من تحت ساقية مساعده قزمان، مطلى بالرجيع، كأن أحدا قلبه فيه كما تقلب سمكة قبل قليها، قزمان طويل فاره، محنى من قلة الأكل، راتبه ثمانية جنيهات في الشهر ، له امرأة ونصف دستة أطفال، ينتظر من عام ١٩٦٢ حتى الآن أوائل عام ١٩٧١ صرف الأرباح ليشترى لحما ، يسكن بعائلته عشة أفراخ.
همهم قاسم. هز قزمان رأسه بالنفي ، وبان برأسه المشوه بالغبار ، والرجيع الأصفر العالق برموش عينيه كخنفس أبيض.
مط قاسم شفتيه، ارتقى سلم الدور الخامس، الذى يحوى السواقى وجميع السكك الخشبية، يسحب الأرز من البركة ويعطى للدور الرابع، ثم يوزع حسب مراحل التشغيل.
البركة إذن.. رمى نظرة من أعلى.. وجدها غارقة فى وحشة، يلفها ضباب ماقبل الفجر. ربما إحدى السواقى.. تتبع السكك الخشبية الموصلة إلى البركه، ليعثر على السافية العاقة.
شقشق الفجر.. العاصفير لم نبدأ فى قزقزة الأرز بعد.
داخل قاسم يموء. لايدرى أين يضرب بشاكوشه. لايرتاح لأسلوب الترقيع. تعم الفرحة باستئناف العمل. ثم.. عطل آخر.
الشمس تحتد.. موظفو الإدارة يدخلون إلى مكاتبهم. المقصف يعج بالحركة والنشاط. رشفات الشاى والقهوة والتمر الهندى. تصفح جرائد الصباح. الترانزستور تأخذه الحمية. لاصوت أعلى من صوت المعركة.. كل شيء من أجل المعركة.. خطة التنمية

تحقق زيادة ضخمة في الناتج. كركرة الجوزة.. طاخ تراخ..
يا.. نظرات تتعلق بمدخنة المضرب التي لاتنفث الدخان..
رشفات التمر الهندي، مرسيه (شكرا) خالص ..
المعركة.. الكركديه أفضل.. زيادة الناتج.. أحذية عمال الوردية ترتطم بالأسفلت في وقع منتظم.. الوقع يفقد انتظامه.. الوقع يتشتت.. طاخ.. تراخ.. ترن في الأدوار الخالية.. الفارة في يد قاسم تحف بالخشب.. نسهر معا ياعزيزي. عندي حديقة سطح ممتازة. زيادة الناتج. تشدو مطربة في قوة: دع سمائي. ستأكلين يديك وراءه.. قناتي.. العربة بكم.. غيروا ماء الجوزة.. شقة هو هو.. خلو مائة جنيه.. مياهي مغرقة.. (حنحارب.. حنحاوب).. ها ها ها..
كل هذا يطلع منك.. لاصوت أعلى من صوت المعركة.. حققت خطة التنمية أهدافها.. العمرة.. كل شيء من أجل المعركة..
طا.. المعركة.. المعركة.. المعركة..



٢

المياه تلطم قيعان سفن
الشحن بالاسكندرية في
شخير متواصل
المياه تتحول إلى رغاوٍ
وفقاقيع هوائية. المياه
ضحلة حول سفن الشحن
بالنيل.

بوق الهاتف:
ـــ سفن الشحن معطلة.
حفيف القلم بدفتر الإشارات يسجل، تترجم الإشارة إلى استعجال سرعان ما يبلغ حد الاتهام لقاسم لتعطيله المراكب السائرة.
الطباخ الفني يمارس هوايته في تهوية الأرز.
سهام المطر الصغيرة تخترق الأرز، وتسقط كدبابيس غزيرة فوق مباني المضرب، الممرات بحيرات، حف القلم بدفتر الاشارات، مسجلا برقية من إدراة مؤسسة المضارب بمراعاة الأحوال الجوية واتخاذ اللازم لحماية الأرز من المطر.
قلم باركر في يد عضو مجلس الإدارة، يمر على الورق: يراعى الاتصال بمجلس إدارة المضرب. المساعد قزمان لاينم عنه أي صوت، قدماه تتنقلان في تردد، يريد أن يرتاح ويخش داره، من فرط تعبه يرجو الله أن لاتقترب منه زوجته، كفانا الرب شر المناورات، جئنا من الأرض وإليها نعود. خرافة.. ممكن إنسان يموت فوق القمر.. يموت في الفضاء الخارجي.
قزمان دائخ في الحارات، تتلاشى دوشة العربات، بعد أن تترك آثارها في النخاع. ضجيج الشوارع المزدحمة وخضخضة الآلات تقتحم على الانسان راحته، وتفسد طبيعته وتململ رقدته. الحارات تلف وتتعرج، وكلها توصل إلى داره. نسوة البيوت يصحن:
ـــ المياه ياسكان تحت.. أقفلوا! المياه.
المياه لاتطلع العالي، الصاروخ الجبار يشق متاهات الفضاء،

يحمل الإنسان و آلاته و آماله إلى كوكب سيار . قاسم يقدر تعب مساعدّه ، أوشك على إصلاح العطل.

ـــ الترقيع لايدوم، العمرة الآن أكثر إلحاحا .

حوش المضرب ملىء بجزوع الأشجار، منزوع لحاؤها. الأخشاب مجزعة، مشبحة، فى انتظار الشواكيش والمناشير لعمل الطبالي .

ـــ العمرة .

دبابيس المطر تتساقط كمناقير العصافير ، تغير من لون الأخشاب المجزعة . احتدى ياشمس، واغضبى، وغيرى من لون الخشب ثانية .

عضو مجلس ادارة انتزع فرعا صغيرا ، لطيفا ، لونه بديع . تكوين ممتاز من الطبيعة ، وضعه على مكتبه .

أعلن المذيع أن التراشق بالمدفعية يزداد عنفا على طول الجبهة، شقيق زوجة قاسم فى الميدان. القذائف تدوى، الطائرات تتهاوى ، قاسم لايقرب زوجته ، أجولة الأرز مرصوصة خارج المضرب، تحت رحمة الرياح والمطر واللصوص. ثمة خفير أمام خيمة قديمة .

العاصى :

ـــ تشكل لجنة لبحث احتياجات العمرة .

قاسم:

ـــ نعمل خطة للعمرة .

الساقيتان فى أعلى المضرب تسحبان الأرز من البركة. العمال يعرقون ترابا .

الطباخ الفنى :

ـــ لم نقرر البدء في العمرة بعد.
الأرز ينشر على السطوح لتجفيفه، هوايات فوق السطوح لفصل السرس والكسر، الهوايات تعمل بمراوح، المراوح الكهربية تدور في الحجرات. رأى العمـال خمسا وعشرين مروحة جديدة، تمرق بهم عربة من البوابة، لغط العمال، أصبح اللغط هديرا. كلام ناعم من أثر الدهن في الحلوق، منمق من أثر راحة البال والمزاج الرائق.. الهدير يعود لغطا.. اللغط يذوب همهمة.. الهمهمة تمتمات لامعنى لها.
سقسقة زوجة قاسم تشق الجلاليب القديمة، تصنع منها ستائر، تحجز الهواء والشمس والفضول عن حجرتهما العلوية فوق السطح، الستائر تمرر الريح هينة. المدافع تشتعل بالغضب على طول قناة السويس. قاسم ينفلت خارجا. سلم منزله ضيق جدا، يسمح بصعود الشخص منفردا بالعافية. شارع "السلخانة" تحول إلى معرض، على أرصفته ترص أطقم استقبال وجلوس. قاسم يرغب في شيء منها. محلات افتتحت حديثا لبيع التليفزيونات والبوتاجازات المستعملة. اللهجة البورسعيدية والسويسية غالبة. الكلام الممطوط والتأني في آخر الكلمة والاخشوشان. تباع الأشياء بسعر المضطر. قاسم يمصمص بشفتيه. رِعَى المنازل معروضة على الأرصفة. الفلاحون دمروا كل شيء، لم يعد الأخ يأمن شر أخيه، ضاعت هيبة الفراعين، اجتاح بركان الناس الموانع، الأمراء هجروا القصور، نهبت مخازن الحبوب، المجاعة عصفت بالجميع، النبش في لحم الجيفة والميتة، صوت الفوضى يعربد في الحقول.
الفلاح يشكو لجاره.

الجار يحادث زوجته.
الزوجة تكلم أبناءها.
الأبناء يهمسون مع أقرانهم.
الهواء لايتذبذب.
فرقعة السوط تسمع على بعد ألف كيلو متر، وآلاف المؤتمرات تعقد. آلاف الموضوعات تناقش. آلاف الاقتراحات تقدم وتؤخذ القرارات. ابتسامة رجل القمة ترى على بعد ألف كيلو متر.
همسته تسمع على بعد آلاف الأميال. الزمن يبتلع ملايين الأصوات. الزمن يغص حلقه بصوت رجل القمة. الفرد. ويظل يذكره دوما. المذيع يعلن: كل شيء من أجل المعركة.. آلا دو.. آلا تريه.. (اثنان.. ثلاث).. طاقم قطيفة وردي.. البك قال بكم.. الصحف تشيد بمحافظة الدقهلية لحسن ضيافتها للمهجرين. المساعد قزمان نفسه في أكلة أرز. الطائرات الإسرائيلية تقوم بثمانين طلعة في اليوم، الجندي لايستطيع مغادرة خندقه لقضاء حاجته، أو لإحضار طعامه، الطيران الليلي يطارد النوم، القنابل زنة خمسة آلاف رطل تغتصب الأرض، قنابل الأعماق الأرضية تفتش عن الخنادق. سقسقة لاتنام الليل، قاسم يتلمظ وراء نساء المُهَجَّرين، نسوة متأنقات، تعشقن الزخرف والبهرج، لهن مقعدات رابيات. قاسم يرى أن ذلك نشأ من أكل السمك والأرز.. قزمان ينكس رموشه حياءً. قاسم ينكشه، قزمان يبتسم في مودة. المدخنة الهائلة تبخ السماء باللون الرصاصي، بين حين وآخر، تبخ شررا أحمر. قاسم يقول أنها في حاجة إلى تنظيف، وحجرة الاحتراق في

حاجة إلى عمرة . المدخنة سامقة بطوبها الأحمر لاتعبأ بشيء . .
أحيانا تكاد تسمعها تقول:
ـــ يه . . يه
عمال غرفة الاحتراق يخرجون عادم السرس، الإدارة تدفع نقودا لمن يلقي به خارج المضرب، يعتبرونه نفاية ينبغي التخلص منها .
العاصي :
ـــ عادم السرس أعظم منظف لأواني المطبخ، يمكن بيعه لمصانع "الفيم" .
الهواء لايتذبذب.
قاسم:
ـــ المضرب ينتج أرزا للتصدير ، الإدارة تعتبر أى ناتج منه مجنبات، تركن لنهاية العام، المجنبات تفقد ثلثيها من العصافير وحريق الشمس، الخيش أيضا يتلف من الشمس، الأرز المكسر يباع ترابا إلى التجار ، التجار يبيعونه أرزا .
ـــ يمكن عمل أرز تصدير وأرز تسويق في وقت واحد .
ـــ يمكن عمل أرز تصدير وأرز تسويق في . .
ـــ يمكن تحويل المجنبات إلى أرز تسويق.
ـــ المجنبات . . المجـ . . نبات . . المجنـ . . الـ .
المضرب كله يرج، اضطراب دور يجعل بقية الأدوار تضطرب، أعصاب العمال تشكو ضغط الضوضاء عليها ، ماسورة واحدة ترج المضرب كله ، الماسورة تصنع كلها من الصاج، يصنعون ربعها فقط ، الماسورة تربك المضرب والناتج والأعصاب .
العاصي :

ـــ مواسير العمرة لاتصنع في القطاع الخاص.
يتأخر بدء العمرة، تزدحم ورش القطاع العام، يلجأون إلى القطاع الخاص.
الماسورة ربعها نحاس، الماسورة في حاجة لعامل دائم بجوارها، يتولى نزييتها، العاصى، قاسم، العمال حتى قزمان.
ـــ يمكن عمل تحضيرات العمرة مبكرا.
موسم ضرب الأرز ينتهي في وقت واحد في مصر كلها، كل المضارب تعمل تجديداتها معا، ترتفع أسعار المواد المطلوبة، يختفى الألومنيوم، بدلات الانتقال والسفر للمحاسيب، يلزم سرعة التوجه للقاهرة والاسكندرية لإحضار متطلبات العمرة.
قاسم:
ـــ كثرة النفقات تؤثر على الأرباح.
الطباخ الفني:
ـــ لابد أن تنجز العمرة بسرعة.
مجلس الإدارة:
ـــ لابد من إنجاز العمرة بأى وضع.
السرس ملقى في جوانب الأحواش، السرس لايباع عندما يكون ثمن الجوال خمسة وعشرين قرشا، يباع عندما يصبح سعر الجوال قرشا واحدا.
العمال:
ـــ نريد الأرباح في نهاية العام.
ـــ لم نحقق ربحا يذكر، المضرب يخسر، هاكم الحساب الختامي، هاكم أوراق المصرف الرسمية، عندكم

المحاسبون. المساعد قزمان لايقرأ ولايكتب، ولاينظر ولن ينظر في أوراق المصرف، قاسم يقرأ ويكتب، قاسم يكلم العمال، يجمع اللجنة النقابية، يصرخ في لجنة الاتحاد الاشتراكي، يقتحم حجرة رئيس مجلس الإدارة، يتكرر اقتحامه لها، كلام مخملي من حلق مبطن بالشحم، قاسم يتكلم من زور مشروخ، قزمان لايتكلم، يريد أن يأكل، يريد أرزا يسد به جانبا من فراغ بطون سكان عشته، زور قاسم يبح، قاسم يقرر :

ـ العمال يمتنعون عن قبض رواتبهم.

وافقت الإدارة على صرف جزء من الأرباح، العمال تخلوا عن امتناعهم، ليسرعوا لشراء مواد لسد فراغ بطونهم وبطون أسرهم، الجزء الذى وافقوا على صرفه غطى بعض سلف العمال من شهور سابقة.

قاسم:

ـ الاقتحام.. النقابة.. مجلس الإدارة.

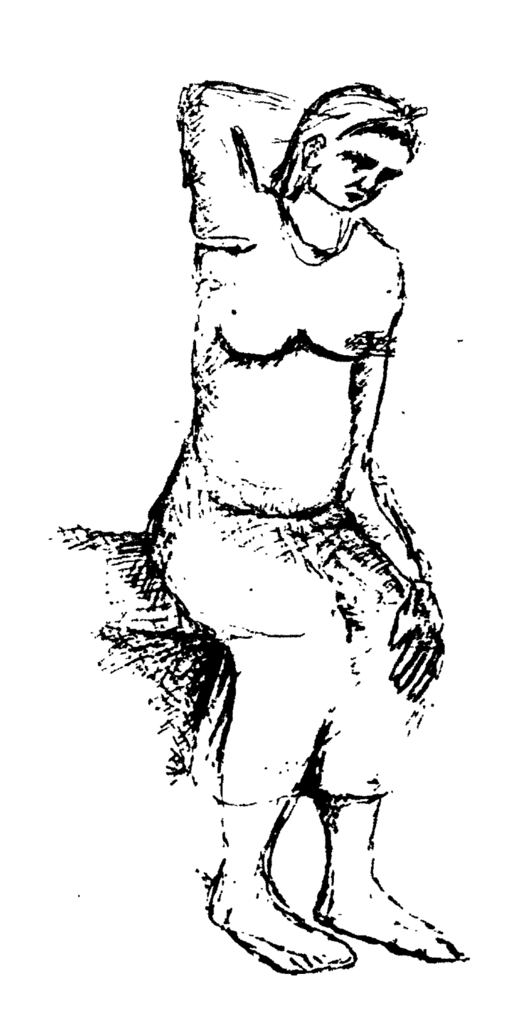
العمال فاترون، خطواتهم مبعثرة، خطوهم لاوقع منتظم له، أرجل متعبة، قلقة، أحذية متهرئة، كعوب ناشفة مشققة.

قاسم يتعامل مع مجلس الإدارة، يسترشد بالقرارات التى في صالح العمال، يستعين بالقانون.

القانون هل ضاع من زمن قديم، أم فقدناه في سيناء إبان احتلالها. غارات اسرائيل بالطائرات الأمريكية تمزق الرمال، القنابل الأمريكية تقوض أعمدة المباني.

قاسم مجد في البحث عن القانون، ينقب في السرس، في حجرة القوى المحركة، يزيل سناج المدخنة العالق بالموجودات، يبحث في شوارع المنصورة، في أضوائها

المختنقة، في مصابيح العربات المدهونة باللون الأزرق، في معروضات شارع "السلخانة".
يسأل زوجته سقسقة، سقسقة بروحها على شاطيء القناة، قاسم يغوص في مياه القناة، مياهها شفافة، المياه تتعكر، تحجب الرؤية، قذائف المدافع تشوش الفكر، سقسقة لاتستجيب، سقسقة فاترة، سقسقة تستجيب ولاتستجيب.
الصوت ذو الألف حنجرة:
ـ دخلنا مرحلة الدفاع النشط، الصمود يمهد الطريق إلى النصر.
زيادة الناتج تفوق ماكان متوقعا.
نفس الصوت يذيع موسيقى حماسية.
الصوت الأخطبوطي يقتحم على الإنسان خصوصيته، يدخل الغلاف الفكرى بين الإنسان ونفسه، يدخل الغلاف الفكرى بين المرء وزوجته، بين المرء وخلصائه، بين المرء وصحبه.
أغنية تهدر بالأرض التي ستعود.
الكلمات جعير يملأ فراغ الزمن.
سقسقة خانعة، خائفة، تحب أخاها، رعته صغيرا بعد موت أبويها، كبرته.
انتزعته الجبهة منها. سقسقة تخشى المجهول ولاتفكر فيه.
سقسقة لايند عنها أدنى صوت.
كلها موجات كامنة.
زفرات مستسلمة.
تنهدات غير فاهمة.





صوت الكون غير عادى،
حجر الكون فى دورانه
تلبك، لايشكو، لايتألم،
يطقطق فى ضيق مستجيرا،
صوته غير المريح، نذير.

العاصي انقبضت نفسه، اضطراب، يصغي جيدا، لم يخطئه سمعه، حجر الكون ثمه ألف جنيه، تضيع في ثانية إذا استمر شخير الحجارة، أحجار الكون، الأسطوانية الضخمة متجاورة في عملقة، الحجر المتعب يعدى بقية الحجارة، العاصي يصغي لنقرات حبات الأرز على غلافه الزجاجي. يفتح بابا في حجم كف اليد، يدغدغ الأرز بيده، تبييض الأرز يرضيه، يربت على الحجارة في حنان، دوران حجر الكون ملتحم بالزمن، تتعاقب عليه ورديات العمال وهو يدور، الوردية الأخيرة والليل يتحول إلي رماد، يشير العاصي بيده، يتوقف زوم الكون، تحقيق مع معطل العمل، هل يلغي أذنيه، وتنفجر الحجارة، وتقتل العامل المناوب عليها، ويتم تحقيق مع المتسبب، العاصي رئيس الوردية، رماد الليل علاه المشيب.

العاصي يريد أن يلحق بأولاده قبل ذهابهم لمدارسهم. حجر الكون يخور.

ـ الخصم على المتسبب.

ـ سيقتل شخص ما.

ـ لماذا ألغيت عمرة نصف العام.

ـ تحقيق واستجواب.

ـ س ... و جـ ...

ـ مااسمك .. وظيفتك ومؤهلاتك.. سنك.. لماذا.. لماذا.

ـ لماذا أنتم..؟

ـ لماذا أنت..؟!

ـ لماذا أنتم..؟!

ـ نحن الذين نسأل.

ـــ وأنا .. ألا يحق لي السؤال..؟

ـــ لم نسمع.. ماذا تقول..؟

ـــ لا .. لاترفع صوتك.

ـــ لاتحاول.. مهما فعلت فلن..

ـــ لماذا..

ـــ لانستطيع.. لايحق لك..

الهواء لايتذبذب.

الكون يخوِر، يشخر، كأنّ سكاكين حادة تقطع أوردته، ويحس بها العاصي، تنغرز في جسده.

هوس في دماغ العاصي. قلبه مضطرب، صجيج في رأسه ولاصوت، مطارق ومناشير تعمل بدأب في جمجمته، جبهته تنسحق، الحجارة تضجر. يضرس، آلاف الأصوات تقتحمه ولاصوت، أما من نهاية لهذا، يده ترتفع في عصبية.

ـــ وقف الكون.

بقية الأكوان تدور في توافق، اختفى النشاز، تنهد العاصي بعمق.. جمع الوردية كلها، دقات مطارق صغيرة، تكسر الطبقة المهشمة، ملح مغنسيوم ومسحوق "سلكت"، طبقة على ظهر الحجر، شهق كل شيء بالبياض في الكون، الحرارة تتخلل الأجساد، الكون يعاد صبه.

دقدقة لنزع بلاط الشوارع، دقدقة لإخراج مِعَى الشوارع، كتلة ضخمة من الصلب تتدحرج في دمدمة مكتومة، المعاول تناطح الأسفلت، شظايا أسفلتية تتناثر، معاول تكسر البلاط، الطوار يعاد رصفه، همسات مكتومة، تعقبها ابتسامات ماكرة، لارنين للفضة، أوراق مطوية، ظروف مغلقة تدس في الجيوب،

لايعدون وراء بعضهم بعضا، اصطدام المعاول بالأسفلت عملية دائمة، والظروف المبطرخة تدس في الجيوب. حجر الكون يكسر في يومين أو ثلاثة، جمع العاصي الوردية كلها لتكسيره في أربع ساعات فقط.
دقدقة متواصلة تنقر مخ العاصي، دقدقة ألات نحاسية، دقدقة موسيقى حماسية، علاقات العاصي بالناس أصبحت علاقات بقالة، نكتكة الآلات أنسته طريقة معاملة الناس، الدقدقة نافوس يتأرجح بدأب لدغدغة أعصابه. أولاده في الطريق إلى المدرسة، الكون لم يدر بعد، لايتحرك قبل الاطمئنان على بقية الأكوان، الأولاد يدبدبون في طريقهم لمدارسهم، الزوجة تسير في خفة لتتسوق، العاصي وحده في المنزل، ينهد على فراشه، نفخ الأبواق لايعادره، صليل الآلات النحاسية يشخلل في رأسه، الموسيقى الحماسية تقلبه على الجنبين، هذه المرة الغربال سينكسر، ناقص مسمار، العاصي لاينحرك قبل الاطمئنان على الغربال، يفحص بقية الغرابيل، الأولاد يدبدبون والزوجة تخف لشئونها، العاصي فقد مظهره، عماله لامظهر لهم، حاسب توسخ المكتب، العاصي بغار على عماله، أصيب بحساسية تمنعه من دخول المكاتب، يصدر قاسم للتعامل مع المكاتب، قاسم في انتظار كلمة جارحة ليقلبها عليهم، العاصي تبتسم عيناه، نحافته هشة، ظهره منحن وجزعه رفيع، الضوضاء تزيد انحناء قوس ظهره، العاصي دخل المضرب هاويا المهنة، الضوضاء، والتراب، والادارة، سببت له المرض والعصبية ،وخشخشة الصدر وأنيميا، العاصي عينان تدوران، قدمان تتحركان، الكون ملىء بالمسامير، صدئة، معوجة، طريق العاصي مفروشة بالمسامير،

هواء العاصي رؤوس مسامير ، جو العاصي مطارق تدق رؤوس المسامير ، العاصي لايتحرك قبل أن يطمئن على الكون، الشوارع في حاجة لسفلتة ، البيوت في حاجة لطلاء . مظهره في حاجة لإعادة نظر . أجساد أولاده الخمس في حاجة لتقوية . جسد زوجته في حاجة إلى ليونه . زوجته مع الوقت تتحول لشيخ خفر ، ساقا العاصي تخشبتا . العاصي نسى مذاق الجنس . يمارسه حتى لاتغضب زوجته . لم يجرؤ أبدا على سؤالها عن رأيها فيما يتم بينهما من ممارسة للحب . مباني المضرب لم تطل من يوم تأميمها . منذ التأميم كثرت فتافيت الطين والدنيبة في الأرز . كان الفلاح يغربل جيدا ليرضى التاجر . فكر العاصي في تطوير الآلة لتنقية الشوائب . زيادة الغرابيل . زيادة المواسير .

ــ هل أنت مهندس . . ؟ !

ــ لا . .

ــ تفتي فيما ليس لك به علم .

ــ جربوا مااقترح .

ــ لاتخترع .

ــ هذا يوفر كثيرا .

ــ لم يطلب منك أحد شيئا .

ــ بدلا من الاستيراد .

المغفل . . لجان تتمنجه في أوروبا . . العملة الصعبة لذيذة .

ــ اسكت يافالح .

ــ لزيادة الناتج . . لنصرف الأرباح .

ــ لابند في الميزانية لاقتراحاتك .

ــ نفذنا لك ماتريد مرة فلا تطلع فيها وتستقلع .

من الحمار الذى طاوعه أول مرة. هاهـو يقرفنـا من جديد.
يفتح الباب على اتساعه لزملائه.
دقدقة المطارق تثبت المسامير المحلخلة. المسامير الصدئة تغوص فى العمق. آلات النفخ تعمل بحماس. . الوتريات تنزوى خجلا. الأبواق تفخر بالناتج العظيم. زيادة الناتج تدعيم لمواصلة المعركة. الأبواق تستمر فى النفخ. النفخ دائم ومصهلل. العاصى لايستطيع الحركة قبل أن يطمئن على تشغيل الكون. النفخ دائم فى الكون. الكون ملىء بالآلات النحاسية. الكرابيج تفرقع فى الهواء. العمال يشذبون الحجارة للهرم الأكبر. أصوات الكهنة ترتل فى رتابة، وانتظام، سن الأحجار من أجل الفرعون العظيم. فرقعة الكرابيج ورخامة حناجر الكهنة تتداخلان فى الأدمغة. من هو محترع رفع الحجارة إلى أعلى. الصلوات المعبدية، عند الغروب. ترنيم الكهنة ينزل على القلوب المعذبة بالسكينة. الأبواق النحاسية تنفخ بشدة ابتهاجا بمقدم فرعون مصر العظيم. الآلات النحاسية تشحذ أصواتها مسرة لابن الإله، الفرحة تعم الجميع. أقدام تشققت، الفرحة تعم الجميع، الجثث تساقطت، الفرحة تعم الجميع، الجثث تعفنت، الأبواق تنفخ بحماس، الكرابيج تنسع الظهور، الأبواق تصهلل، الظهور انصهرت تحت السياط الشمسية، الآلات النحاسية تشدو، عمال البناء يضمحلون، الكهنة يترنمون، العمال يرفعون الأحجار، ويتركون دوابهم، الكهنة يصلون، العمال يفرون، الكهنة يركعون، دقدقة، ونغم ودبيب، واستبشار، كله من أجل اليوم العظيم.
العاصى وعماله كاظمون، من أجل يوم النصر العظيم، العاصى

لايغادرهم قبل الاطمئنان على دوران الكون، المجموعة الشمسية تدور دون أن تعبأ باطمئنان أحد، الكرة الأرضية تدور دون أن تحفل بتوجيهات أحد، الشمس والبرد والمطر والرياح لاتعبأ بأحد.

الأبواق تنفخ.

الآلات النحاسية تصهلل.

دقدقة المطارق الصغيرة تدبدب.

قدما العاصي لادبيب لهما.

أولاد العاصي يدبدبون.

زوجة العاصي لاتفتح.

باب العاصي لاينصفق.

سرير العاصي لايزيق.

رأس العاصي يموج بالدقدقة.



٤

أنا سمكرى كوع، ألف الماسورة فقط، قزمان في خدمة المضارب منذ ثلاثين عاما، وقت العمرة يتحول إلى أسطى، يعمل في عمرات المضارب الأخرى.

بعد العمرة يعود مساعداً لقاسم، الأحدث منه في الخدمة، لكنه حصل على الدرجة التاسعة لأنه حائز على شهادة، أما قزمان فلسانه الطويل مع بعض الناس أفقده عطف لجنة التقييم، فلم تلتفت إلى خبرته، قزمان يلف الماسورة، ويلحمها، ويفكها، ويقصرها، طرف الماسورة تآكل..

ـ إرم الماسورة.

قزمان:

ـ أقصرها.

ـ إرم.

كلام يصب في بوق الهاتف، مسبوقا برقم الصادر. طلب عاجل لسمكرية ونجارين لإتمام العمرة في الميعاد المحدد.

ـ أي ميعاد.

ـ المحدد.

ـ متى؟

ـ المحدد.

كلام يخرج من البوق، مسبوقا برقم الصادر، فحص جبال التراب ليمكن التخلص منها، البوق يرمى كلاما، ينقش على الورق، هرجلة، وبرجلة، سلك المناخل تهرأ، في حاجة لتغيير سريع، الإتصال بالإسكان لعمل لجنة لتقدير سلامة المبنى، الاتصال بجامعة عين شمس لعمل لجنة لتقييم القوى المحركة، لجنة من المصنع لتدبير احتياجات العمرة،

مسامير، طبالي، مواسير، سمكرة.

ـ البضاعة اختفت من السوق.

ـ تعمل لجنة لشرائها من الاسكندرية.

ــ ارتفع ثمن الأدوات.
ــ كان يمكن شراء مايلزم مبكرا.
ــ هذا أوانه.
ــ تشكل لجنة للتوجه إلى القاهرة.
ــ تعمل مذكرة بالأشياء المطلوب استيرادها.
قرار من مجلس الإدارة، يحول عنبر التشغيل لأعمال العمرة.
المدير، حول عمال التشغيل إلى عمال عمرة، ليس لهم في السمكرة، يتعلمون، يساعدون، ينجزون.
ــ آه.. لابد أن تتم العمرة في الميعاد المحدد.
ــ المضرب في حاجة لمدير يتولى أعمال العمرة.
ــ ينتدب أي سيد مبجل.
ــ العاصي.
ــ نقول سيد مبجل.
ــ قاسم.
ــ نقول سيد مهذب.
ــ عندنا أصحاب خبرة.
ــ افهمونا.. سيد ذو شأن.
البوق يلقح كلاما.. إعادة تشغيل المرتجع لاستخراج أرز بنسبة ٤٠ ٪ للسوق المحلي.
ــ نحن في العمرة.
ــ فحص المجنبات.
ــ نحن في العمرة.. كله عادم.. دنيبه.. عادم..أرز مكسر.. عادم. أرز سليم.. اركن.

المدخنة منتصبة دون دخان، ماكينة ديزل مستوردة من سنوات معطلة حتى لاتتعطل المدحنة.

ـــ عمرة لمعامل الفحص.

ـــ أنتم نائمون . . معامل الفحص تحولت إلى حظائر للسيارات.

ـــ عمل مناقصة لشراء الأدوات اللازمة سيؤخر العمرة.

ـــ اشتروا مباشرة من السوق.

ـــ حطموا "الروتين".

ـــ لازم العمرة تتم في الميعاد المحدد.

ـــ الميعاد المحدد.

ـــ المحدد.

المطارق تطارد العاصي، الكلمات تنقب رأسه، يغلق على نفسه حجرته، يفكر في خطة للعمرة، رعبة زوجته تطرق بابه، العاصي غارق في حساباته، حس زوجته الخفي، يطارده، العاصي عائم فوق مشاكل المهنة، نبش الأيدي الأنثوية يزغلله، جسد العاصي وفكره في عالمه، كيان العاصي آلات ومواسير وسيور، العاصي عالم زوجتــه، المضــرب وجهــة فكــر العاصي. العاصي وجهة فكر زوجته. مشاكل العمل حياته. هو حياة زوجته. الدبيب الخفي يخفت الأصوات حينا. العاصي يرتجف لحظات. تأدية واجب. المطارق تعود تطرق رأس العاصي. يصبح دون يدين على عجلات آلاته. قاسم يدب على باب زوجته. طلقات المدافع تغلوش على سمعها. يراجع نفسه. دوران التروس يُميل رأسه. ضجيج الغارة يذهب بفكره. يداه القويتان تطرقان باب سفسقة. الزوجة تروغ عند أختها. قاسم

يلاحقها . الزوجة تعتصم بطول القعدة . قزمان مثل سير الماكينة الجلدى المتآكل، وكأنه نقع فى الزيت مائة عام. أعضاؤه فى حاجة لسمكرة . فى بيته ينظر إلى زوجته . وزوجته تنظر إليه . قزمان تزغلل عينيه رقائق الصفيح. قزمان لايشعر بساقه أهى ممددة أم ملوية تحته . لايفكر فى تحسس قدمه . قزمان يشعر بمنخريه . كعربة ذات طراز قديم. تنفث العادم من "شكمان" صدىء . لابد أن يزغدوه ليقلقل جسده في الميعاد المحدد . حفر قناة السويس تم في الميعاد المحدد . ووريت جثث عمال الحفر تحت الرمال . لتفتح للملاحة في الميعاد المحدد . وسيعبر جنودنا قناة السويس فى الميعاد المحدد . وسيحاربون الإسرائيليين فى الميعاد المحدد . وملء فراغ البطون ليس له ميعاد محدد . ومنع تشقق الكعوب ليس له ميعاد محدد . ونشرة الأخبار لها ميعاد محدد . والأغانى الحماسية ليس لها ميعاد محدد . وكل شىء سيصبح على مايرام فى الميعاد المحدد .



٥

الأسفلت يئن تحت ضربات الشمس. لسان قاسم ملتصق بسقف حلقه. فمه لايدفع الهواء. قاسم مجد في البحث عن محل لبيع الألسنة.

يبحث عن لسان يستطيع به شرح عمرته. يبدو أن لسانه فقد صلاحيته، فقد ظل يشرح به مشروع عمرة تقدم به. كانت الآذان مدلاة في عدم إهتمام.. والأفواه مقفلة بإحكام. طرقع بلسانه. لم تتأثر وجوههم. نزع لسانه. قلبه بين يديه. أعاده لوضعه. غير طبقة الصوت. استندت الجباه على السواعد. مالت إلى الأمام. خلع لسانه. تحسس جلده. بحث في جيبه بسرعة، وجد ورقة بها بعض سطور. ظن أنها تسعفه في توضيح مشروعه. أدار لسانه. أسرع في دورانه. أبطأ قليلا. انتظر لحظات. يعطيهم فرصة لإلتقاط الكلمات وفرصة لاستيعابها. انكفأت الرءوس على المنضدة. بقوة شد لسانه. خلعه من جذوره. ضرب به المنضدة بعصبية. سمع طبقات صوته. طوحه في الهواء بقوة يمنة ويسرة. سمع حفيفه. أحضر ورقة صغيرة كتب عليها عدة أسطر وألصقها به. قربه من أذنه. سوى حوافه. وطرق وسطه قليلا بإصبعه. لحظ نتوء صغيرا في نهايته. امتحنه بسبابته. بحذر بالغ أعاد تركيبه في فمه. وبحذر وتأن أخذ في تحريكه. ضبط إيقاعه. ارتفع بنغمته قليلا. توقف يعيد ترتيب كلماته. حركه في خفة ويسر. كلمات منتقاة. الشخير يتصاعد في الحجرة. الأجساد تتهدل. رفع طبقة الصوت حتى منتهاها. زعق لسانه. زعق بكل حواسه. يداه تخبطان المنضدة وعيناه تستجيران. قدماه ترفسان الأرض. ينطح برأسه الحائط. الشخير يعلو. الجباه تتقلب على المكاتب في راحة عميقة. جذب قاسم لسانه. ضرب به راحة يده. التقط قلما من جيبه. مرره على لسانه كما يفعل الحلاق بالموسى على جلدة شحذه. طرقع بلسانه بجوار آذانهم. ضرب المنضدة أمام جباههم. لم يتحرك أحد. دسه في جيبه. فتح الباب. نزع لسان العاصي ودخل الحجرة

مسرعا. أغلق البـاب حتى لايتسرب أى صوت. سطر بعض سطور على ورقة ألصقها بلسان العاصى. وضعه فى فمه. ألم به خاطر، جذب اللسان بسرعة. مزق الورقة. كتب مباشرة بالقلم على اللسان. ثبته فى فمه. مرر الكلمات من بين شفتيه. كلمة. كلمة. بتؤده. زاد من سرعة تدفق الكلمات. أبطأها، رفع طبقة الصوت. زعق. شخط. أخرج أحدهم منديله من جيبه، عصب به عينيه ليحجب ضوء النهار. فتح قاسم باب الحجرة. اندفع يجرى. تقهقر مسرعا وأغلق عليهم الباب بالمفتاح. جرى مسرعا وعاد. دفع الباب وهو ينهج. يده ممسكة بزجاجة المثبت. كتب على لسان العاصى بالقلم. مرر الفرشاة بالمثبت على الكلمات. أدار اللسان، انسابت الكلمات بهدوء ونبرة منخفضة. رفع النبرة قليلا. الجباه تتفصد بالعرق. التنفس منتظم. كرر الكتابة. زاد كمية المثبت. انسابت الكلمات فى نبرة متزنة. خلع أحدهم جاكتته وغطى بها وجهه. فتح قاسم الباب. نادى أحد العمال. غافله ونزع لسانه. جرى داخل الحجرة. أغلق الباب خلفه. أدار اللسان بالكلمات دون استعمال المثبت. وباستعمال المثبت. بكلمات على ورق وبدون ورق. مدد أحدهم جسده على المنضدة. واحتضن وجهه بين ساعديه. جرب قاسم لسان عامل آخر. وآخر وآخر. مراعيا الاختلاف فى السن والوزن، والأقدمية. الغطيط يعلو. تفصد جبينه بالعرق، وتعب فكاه. فتح الباب. همس فى أذن أحد السعاه بآخر لسان جربه. نفذ الساعى ماأمر به. أحضر له كوبا من الماء. لعله جو الحجرة الذى يساعد على النوم. ومن يدرى. ربما فى آذانهم عطب. خلع أذنين لرجل يفغر فاه فى بلاهة ويشخر دون انقطاع. وأخذ أذنين لآخر تهدل جسده على مقعده. سيعرضها على صاحب ورشة

لإصلاح الآذان. وسيذهب بلسانه وبعض ألسنة العمال إلى ورشة لإصلاح الألسن.
قدماه تعاركان الأرصفة. ردود مقتضبة.
ــ ليس محلا لبيع الألسنة.
ــ هذا محل لتلميع الألسن فقط.
ــ ماذا تعنى.
ــ لتنطلق بمعسول القول.
ــ هذا محل للسنفرة فقط.
وتبع القول بنظرات ماكرة. مستهزئة. اخترقت نظرة لئيمة جنبه فتأوه. نظر خلفه. استعطف صاحب النظرة ان يسحبها. رق الرجل لحاله، وتركه ينصرف بهدوء.
ــ أنت عبيط أم ندعى العبط.
ــ أصدقنى القول.
ــ لايوجد إصلاح للألسن هذه الأيام، إلا فيما ندر. ولايوجد من يجاهر ببيع الألسن. ابحث لك عن سمسار أو أدخل أى محل لتلميعها. وأجزل العطاء. سيفهمون قصدك. وستجد بغيتك. وعليك أن تحدد نوع اللسان الذى تريده.
ــ أريد لسان أسطى، أو لسان رئيس وردية، وبالمناسبة هل يمكن الحصول على لسان قارىء للكتب والمجلات.
ــ هذه الألسن لاتباع الآن.
ــ دلنى بربك عن الأنواع الموجودة.
ــ توجد ألسن تتكلم عن الأحوال الحسنة.
ــ ألا توجد أنواع أخرى؟
ــ توجد ألسن للكلام المنمق، خاصة عما يباع ويشترى، وللحديث عن المناسبات. اختر ماشئت.

ـــ ليست هذه ماأريدها .
هم بمغادرته . . فجأة لاح له خاطر . قال:
ـــ ألا يمكن إصلاح لسانى ؟
تلفت الرجل حوله، وهو يضع سبابته على شفتيه، وتفحصه بعينيه، فعاجله قاسم بضيق وهو يشير إلى وجهه :
ـــ هل يلوح من شكلى أننى منهم . . ؟!
قاده الرجل إلى ورشة لإصلاح الألسن. حجرة صغيرة مضاءة بنور أصفر. معلق على جدرانها شرط مختلفة. تفحص قاسم بطاقاتها. نجاحات في مختلف المجالات. كلمات للمناسبات. تحيات ومجاملات، وترويج لمساحيق خدود وأحمر شفاه السيدات.
قال مصلح الألسن:
ـــ هل أخترت شريطا معينا لتدريب لسانك عليه، أم أختار لك . .
تجاهل قاسم مقولته وسأل:
ـــ ألا يوجد شريط للحديث عن عمرة .
عاجله الرجل بلكمة قوية. عندما استعاد قاسم توازنه، طيب الرجل خاطره وهمس:
ـــ أنت معتوه . ؟!
قرب فمه من أذنه :
ـــ الشريط الذى تريده، لم يعد يطبع، ويقال أن الأصل قد سرق، ويقال أن من سرقه، كان فى طريقه للخارج، عن طريق قناة السويس. وأثناء عبوره، سقط فى الماء، ويقال أنه كلما حاول أحد انتشاله عاجلته الطلقات. ويدور نقاش الآن هل سقط الأصل سهوا. أم

عن عمد. وهل تأتي الطلقات من الجانب الاسرائيلي فقط، أم من الجانب المصرى أيضا، وحتى الآن لم يتوصل أحد لإجابة حاسمة. لفت مصلح الآذان نظره، أنه جاء لإصلاح لسانه.

فجأة تنبه الرجل أنه صرح أكثر مما ينبغي. عامله بعنف. وشخط:

ـ إرخ لسانك.

قربه من عدسة تعكس عدة ألوان. ولا لون لها. غمسه في إناء به زئبق بعض الوقت. ثم قلبه بين يديه. طرقه بمطرقة مدببة طرقات هينة.

قال:

ـ أضعت وقتي. لسانك سليم. ليس به عيب عضوى.

ـ ماذا تعنى؟

ـ قد يكون به عيب نفسي أو أخلاقي. ولاسيطرة لي عليهما.

ـ أين أذهب به؟

ـ توجد ورشة لتقويم أخلاق الألسن. ولكن نصيحتي لك ألا تلجأ إليها فمفعولها ليس مؤكدا.

ـ على العموم. أشكرك، ولابأس من التجربة.

ـ لحظة. ماهو وضعك؟

ـ نجار.

ـ مؤكد. لن ينصلح لسانك. نسبة كبيرة منكم يفشل معها العلاج النفسي. لو كنت من مهنة أخرى. ربما حصلت على بعض النتائج. لكن حالتك ميئوس منها.

افصحت علامات وجه قاسم عن حزنه العميق. شكر الرجل. سار

فى صمت. جاءه صوت الرجل..
ـ لحظة من فضلك. لم تحدثنى عن الجو الذى استعملت فيه لسانك
ـ وماقيمة ذلك؟
ـ فى حالات كثيرة يتسبب الجو فى عقم الألسن.
ـ يخيل إلى قبل أن أتكلم عن الجو أن أقوم أولا بفحص بعض الآذان. لعل العيب منها. قاده الرجل إلى ورشة لإصلاح الآذان.
أدار مصلح الآذان شُرُط حماسية. وشُرط لموسيقى صادرة عن آلات نحاسية. وأغاني وطنية. وخطب. ونجاح خطط تنمية. التقطتها الآذان جيدا.
ـ آذان سليمة مائة فى المائة.
لمح قاسم شريطا قديما مهلهلا. على علبته بطاقة مكتوب عليها: عن العمل والعمال. نفض عنه التراب. استأذن وأداره.
صَمَت الآذان.
سأل قاسم:
ـ هل يوجد عيب فى الآذان.
استفسر مصلح الآذان:
ـ أي نوع من الآذان هذه؟
ـ آذان لأعضاء مجلس إدارة.
ـ إذن فهى سليمة مائة فى المائة.
ـ لم تصغ للشريط القديم.
ـ ولذا فهى سليمة تماما.
تحير قاسم. سرح بعيدا. انتزعه مصلح الآذان من سرحانه، ومشى معه. سأله:

ــ لم تحدثنى عن الجو .
ــ أى جو ؟!
ــ الجو الذى ضربت فيه باللسان .
ــ حجرة مكيفة الهواء .
ــ تكييف الهواء يوجد مطبات* سمعية بين آذانهم ولسانك، لابد من تغيير الجو .

قاسم يدب فى الشوارع . عمرة للأرصفة ، عمرة لواجهات البيوت الكالحة ، عمرة فى مخ سقسقة ، عمرة لجسد قزمان الهزيل ، عمرة فى مخاخ أصحاب العربات، عمرة لأصحاب الكروش البارزة ، عمرة للأتوبيسات المزدحمة، عمرة فى الحجرات المكيفة الهواء ، عمرة فى المجارى ، عمرة فى مواسير مياه الأدوار العليا ، عمرة فى الحدائق، عمرة للأشجار التى لاتورق ، عمرة لجلد الإنسان الناشف، عمرة لما يقرأ ، عمرة فيما يفكر ، عمرة فى الحارات القذرة ، عمرة للسماء الضبابية ، عمرة للريح المحملة بالأتربة ، عمرة فى الصاروخ المنطلق إلى القمر ، عمرة لبنى آدم قبل أن ينزح لأى كوكب آخر .

الوقت يتأخر به ، سكين الزمن يقطعه ، المسير بسرعة ، عمرة فى لسان سقسقة الذى سيسأله :

ــ أين كنت حتى الآن ، ألا يوجد بيت لإيوائك .

بماذ يجيبها ، آه لو تستطيع أن تفهم .

سيخدر الكلمات .

ولتنساب الوعود .

وعلى صوت الحب المستعار ، سيتسلل إلى فراشه ، يقلب جسده على الجنبين ، لعله ، يصيب شيئا من الراحة .

٦

فتح قاسم ظرفا كبيرا ،
وأخرج مذكرة من مصلح
الآذان ينبهه فيها إلى بعض
ارشادات ينبغي اتباعها ، إذا
أراد للآذان التي عرضها
عليه أن تلتقط كلماته .

ملحوظة بخط كبير ، وتحتها ثلاثة خطوط حمراء ، تكررت أكثر من مرة في المذكرة ، وتسبق الملحوظة أسهم، وأحيانا توضع بين قوسين، ووجدها مطبوعة بـ "كليشيه" خاص في عدة مواضع، فأدرك أهميتها وضرورتها .

الملحوظة : "لاتسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية"

وباقي المذكرة تعليمات عن كيفية تنفيذ هذه الملحوظة على أحسن وجه . وثمة نصيحة تدل على شريط معين، ومكان بيعه ، مسجل عليه أسماء مستعارة ، وطريقة نطقها الصحيح.

فحص قاسم الملفات التي كان يعرض منها مشروع عمرته ، ملف مكتوب عليه بالحبر الشيني الأسود بخط كبير "ملف العراقيل" ، ملف آخر مكتوب عليه "لجنة الموظفين من أجل تضييع الوقت" ، ذهب ليسمع شريط الأسماء المستعارة ، سأل في الدكاكين عن شرط أخرى ، استمع إليها ، لم يجد بغيته ، دله أحدهم على رجل ذي دراية كبيرة بالأسماء المستعارة .

قال الرجل:

ـــ في الشرط التي عثرت عليها الكفاية ، ولكنك لم تتعودها بعد ، توجد العموميات، تصرف تبعا لذلك، وغير في نطاقها ماشئت.

لم يقنع قاسم، لم يجد فائدة من المناقشة ، لحظه الرجل، سأله :

ـــ ألم تتدرج في وظائف ادارية ؟

ـــ لا .

ـــ طول عمرك ملاصق للآلات؟

ـــ نعم.

هز الرجل كتفيه، لم يفه بحرف، حاول معه قاسم، نفخ بمنخريه، لم يزد. الحيرة تلعب بقاسم، قدماه تزحفان على أسفلت الشوارع، مامعنى سؤاله لى عن ملاصقتى للآلات، نعم أنا جزء منها، أحفظ كل شبر فى المضرب وأعرف كل مايتصل بالنجارة، هذه السكك الخشبية تصلح لهذا العام، وتلك تترك لإصلاحها فى العام القادم، العاصى أيضا يحفظ الآلات، يعرف العطب من سماع صوت دورانها، يحس أن هذا العامل سها عن وضع نقطة زيت، وهذا أهمل التشحيم أو نسى أن يفتح مشوار الأرز، فى رأسه خطط أعوام مقبلة، أيكون فشل العاصى فى تنفيذ أفكاره لعدم اتباعه لتلك النصيحة الهامة "لاتسمى الأشياء بأسمائها".

أيعود لأصحاب الشُرط، سيسخرون منه، لم يفهم منهم شيئا هذا الصباح، ولكن فليتحمل سخريتهم إذا أراد أن يفهم، وإذا أراد لعمرته أن تتم، ذاب حذاؤه، تشقق كعب رجله، استبدله، ولم يزل يلف على الدكاكين، كان ينوى تبديل قدميه وشراء تصبيرة تصده عن الجوع زمنا، ليشرع فى السؤال واللف ثانية، لولا أن سمع تمتمة تهزأ به..

ــ مسكين هذا العامل، الآلات غيرت المواصفات داخل رأسه، لن يعرف كيفية استعمال الأسماء المستعارة أبدا.

التفت يسأل الرجل. لم يجبه، رجاه معروفا، اغتاظ الرجل، فقال:

ــ لن تفهم ماأقول إلا إذا استبدلت رأسك هذا بآخر.

ــ بأى رأس تنصح؟

ــ رأس حمار، وإن كنت أفضل رأس أرنب.

ــ ولكن . . كيف أسير بالرأس الجديد .

ــ تلفت حولك بإمعان، ستجد كثيرا من هذه الرءوس، ولكنها مموهة بإتقان.

ــ سيخيل إلى دائما أن الناس ترى الرأس الجديد على حقيقته، ألايوجد رأس آدمية وله نفس المواصفات؟

ــ نوصلوا لهذا في أمريكا وبعض الدول الأوربية، وهو في الطريق إلينا، ولكن حذار . . سيكلفك هذا كثيرا .

استأجر رأس حمار. لمدة ساعتين. يناقش خلالهما مشروع العمرة مع مجلس الإدارة . عاد مسرعا وزاد مدة الإيجار ساعتين أخريين. ليجرب نفسه بالرأس الجديد مع سقسقة. أدار الكلمات في الرأس المستعار. الأخشاب الذائبة تغير وتبطن بالصاج. تتآكل من سحب الأرز. تتآكل الأخشاب من الإهمال. حجر المدش ينعم من كثرة العمل. ينقشونه بقادوم حاص ليخشن. نطقت رأس الحمار. يغير الحجر بآخر جديد. ماكينات بها إصلاحات طفيفة. تغير الماكينات كلها. ويستورد بديلها من الخارج.

اختار قاسم مقهى هادئا يستريح فيه قليلا . تفحص وجوه الناس. لم تنبيء بملاحظتهم رأسه المستعار . اطمئن، أخرج من جيبه إرشادات استعمال الرأس. قرأ قليلا . اضطرب. استعمال الرأس ولو لمدة بسيطة جدا يترك أثرا في النفس. وقد يمتد الأثر ويأخذ الرأس الأصلي فيما بعد بعض صفات الرأس المستعار . وماذا يكون من أمره مع سقسقة. ماذا لو استجابت له . هل تلد حمارا. أو طفلا له بعض صفات الحمار . انزعج بشدة. خير

للطفل أن يواجه عالما مضطربا من أن يولد حمارا. حاول نزع الرأسَ فلم يستطع. ذهب لمؤجر الرؤوس. اعتذر له. لقد ضبط الرأس علي وقت معين. ولن يمكنه نزعه قبل فوات مدة استئجاره.

صعق قاسم. جرى في كل اتجاه. ضرب رأسه في أكثر من حائط. مر علي كثير من الدكاكين دون فائدة. ذهب للعاصي يسأله النصيحة. فكر العاصي. اهتدى إلي خاطرة. سارع بتجربتها. قاده إلي الآلات وأسمعه هديرها. أحاطه بالعمال يكلمونه ويناقشونه. أخذه إلي البركة. المجوة العميقة تبتلع الأرز. السواقي الخشبية تسحب الأرز. أحس قاسم بعدم ضغط الرأس المستعار علي رقبته. أسرع به العاصي بين الآلات. بعد قليل، أمكنهم نزع الرأس. ألقوا به بعيدا. تنفس قاسم بارتياح. تنبه لما حوله. سأل:

ـــ هل دارت الآلات؟

ـــ ...

ـــ هل انتهت العمرة؟

ـــ في الموعد المحدد.

ـــ والعمرة التي نعدها؟

ـــ استمر.. كما أنت.

ـــ ولكن.. الموعد المحدد؟

ـــ عمرتنا لاتتقيد بالموعد المحدد.

العاصي وقاسم يبحثان مشروع العمرة. العمال يقترحون. ويناقشون. دقات المطارق. حفيف السيور. غربلة الأرز. زحف

الأرز الأصفر في المجاري الخشبية. العمرة تعدل. العمرة توسع. الآلات تطور.

ـ العمرة انتهت.

ـ العمرة جاهزة للتنفيذ.

ـ الموعد المحدد.

ـ قصة كل عام.

ـ العمرة.

الأصوات الداخلية تطمو في رؤوس الجميع. الموسيقى الصاخبة. الأغاني الحماسية. لاصوت يعلو على صوت المعركة. الأناشيد الوطنية تهدر. الآلات النحاسية تنفخ.

أين المفر .... ؟



العاصى مجد فى البحث
عمن يقدره. غير كعبى
قدميه عشرات المرات. لم
يعثر على مراده. غير
وجهته الزمنية.

سأل حمالا شكله غريب،وكأنه من زمن الفراعنة أن يدله على من يقدره. أجابه بسرعة دون أن يلتفت إليه. أن وقته لايسمح له بمواصلة الحديث. وتعبه يمنعه من تقديره حق قدره. أشار له في عجلة أن يتجه إلى الحقول في جميع الأزمنة. انغرس في الترع حتى ركبتيه.. دار مع الطنبور، تشقق جلده كالفلاحين، إحمر أديم عينيه مثلهم، اكتسبت بشرته لون قشر البصل الناشف، الفلاحون لايتكلمون. فقط يعملون، وجد عجوزا في طريق النهاية من عدينة مندثرة، استوقفه لحظات يعرض عليه عمرته، لعله يقدره، وافاه أجله، ضاعت منه فرصة ثمينة، عليه أن يجوب الجسور. وينفد من فتحات الترع الطينية، سنوات وسنوات، حتى يعثر على من يرد عليه. أنقذته امرأة من سن محراث كاد أن يخلطه بالأرض، سألها فأشاحت بوجهها، لاحقها دون جدوى، تعرض لصبي، لفتي، لشاب، لشباب، لجمهرة كبيرة، غاص في الموالد، اقتحم الأحاديث، تطفل على المواويل، فاجأته عيان نافذتان، وصوت جاد:

ــ ماجدوى أن نقدرك، أو نقدر عمرتك، والهواء لايتذبذب لحركة شفاهنا.

ترك الحقول، طاف بالمصانع، تسلل إلى المداخن يلقى السؤال الذي يعذبه، ألن يجد أحدا يقدره، السؤال لايصل. اهتزاز الماكينات وشخللة الآلات، تضيع السؤال. أحضر مكبر صوت وألقى السؤال. لم يلتفت إليه أحد. غافل مسئولي المصانع في وقت تغيير الورديات. أوقف الآلات. وألقى بالسؤال. لم يلتفت إليه أحد. تاه وسط المزروعات. لقى رجلا متشحا بالبياض.. مسافرا عبر الزمن. استفسر منه عن وجهته، فقال:

ـــ لم أجد بغيتي في الزمن الماضي فقررت التوغـــل في المستقبل.
ـــ وهل وجدت ماتنشد ؟
ـــ لم أصل بعد ولكني سأجده.
ـــ علام تبحث؟
ـــ لاتعطلني ياولدى أكثر مما فعلت.
وانطلق نحو الزمن الآتي. لحظ حيرته. كلمه بسرعة:
ـــ لي أبناء نائمون من عهود سحيقة. أبحث لهم عن عصر يفيقون فيه.
حاول العاصي أن يستوضحه. لم يمكنه. غاب في التيه. جال العاصي في الأرض والزرع والصخر. قابله مسن ذو لحية. متشح بعباءة خضراء. يده معروقة. يغزل طاقية من خيط شاهق البياض. العجوز يغفو حينا. وينشط حينا. ويده تعمل في الحالين. يأخذ نفسا عميقا، يدقق بعينيه في الأفق. ثم يعود إلى غزله. اقترب منه العاصي .أشار العجوز إلى الأفق:
ـــ ألا ترى نجما سطعا يابني بين السحب والغيوم؟
ـــ لاأرى شيئا.
ـــ دقق النظر جيدا.
ـــ آه.. ذو الضوء الأصفر.
دهش العجوز وتمتم.. ظننته أحمر. سأله عن قصته.
ـــ أبحث عن أحد يقدرني.
قهقه العجوز. ارتجت الأرض. تعكر أديم عينيه. صفا ثانية. قال:
ـــ لاتتعب نفسك في البحث ياولدى. التقدير ينتزع عنوة.

غاب العجوز في صمت عميق. ويده لم تزل تلف المغزل. انطلق العاصي يجوب الآفاق. يصيح في وجه السحاب:

ـ أين من يقدرني.

يلوح بقبضته متوعدا:

ـ لابد من أحد يقدرني.

يخبط الصخر ويقذف البحر بالحجر:

ـ أين أنت يامن ستقدرني.

يقلب الأرض بسن محراث جبار:

ـ لابد أن أعثر عليه.

قابلته فلاحة مليحة. تخطر في غلالة وردية. قالت:

ـ علام الزعيق يارجل؟

ـ أبحث عن أحد يقدرني.

ضحكت الفلاحة، قالت:

ـ ألم يرشدك العجوز إلى شيء؟

ـ أي عجوز تعنين؟

ـ العجوز غازل الطاقية.

ـ لم يوضح لي.

ـ ألا تكفي رؤيتك إياه؟

لم يرد العاصي. فقالت الفلاحة:

ـ هذا العجوز زوجي. وهو يغزل هذه الطاقية من زمن، وأثناء غفوته، تضطرب يداه، وتفك ماغزلتاه، وكما ترى.. لم ننجب أولاداً.

ـ ومتى يحس الأمان؟

ـ حين تقدر أنت.

تهته لسانه بكلمات الاستيضاح. غابت عن ناظريه.
غير جلده الذى أحرقته الشمس. استبدل ساعديه بآخرين فتيين. الأصوات تتسلل إلى عالمه. الأناشيد الحماسية تهدر. الموسيقى الصاخبة تجلجل.
غمرته تلك الأصوات. ثم ضعفت، كأنها صدى يأتى من بعيد. ثمة أصوات تشق الفضاء. تجعل أى أصوات أخرى خلفيات لها. حركة الآلات. دوران التروس. انتفاضات المداحن. روحه تهتز كأنها تقتلع من جذورها. العاصى فى صوت واثق:
ـــ نناقش العمرة.
قزمان:
ـــ نبحث تنفيذها.
قاسم:
ـــ العمرة.

(تمت)

صدر للمؤلف

****

قصص قصيرة

* سلامات. أدب الجماهير. نوفمبر ١٩٦٩
* كراكيب. ٢ طبعات. أدب الجماهير. سبتمبر ١٩٧٠ وسبتمبر ١٩٨٢ وفبراير ١٩٨٧
* سجناء لكل العصور. طبعتان. أدب الجماهير. يونيو١٩٧٧ وأكتوبر١٩٨٧
* الزمن المستباح. ٢ طبعات. أدب الجماهير. مارس ١٩٧٨ وأغسطس ١٩٨٢ ومارس ١٩٨٦
* النيل ينبع من المقطم. مواهب. فبراير ١٩٨٥
* كحكة للصبى. دار النديم. يونيو ١٩٩٠

الرواية

* شارع الخلا. ٣ طبعات. أدب الجماهير. أكتوبر ١٩٦٨ وأكتوبر ١٩٧٩ وأكتوبر ١٩٩٥
* نافذة على بحر طناح. طبعتان. أدب الجماهير. فبراير ١٩٧٦. الثقافة الجديدة. ١٩٧٩
* المحاصرون. أدب الجماهير. أغسطس ١٩٧٢
* رجال وجبال ورصاص. أدب الجماهير. يونيو ١٩٧٣
* الأسرى يقيمون المتاريس. ٥ طبعات. أدب الجماهير. فبراير ١٩٧٦ ومايو ١٩٧٩ ويونيو ١٩٨٥ وسبتمبر ١٩٨٧ وديسمبر ١٩٩٥
* الصرة. طبعتان. أدب الجماهير. اكتوبر ١٩٧٧ وديسمبر١٩٩٦
* القرفصاء. طبعتان. أدب الجماهير. مارس ١٩٧٨ وفبراير ١٩٩٢
* متهمون تحت الطلب. ٢ طبعات. أدب الجماهير. مايو ١٩٨١ ويناير ١٩٨٥. وزارة الثقافة بسوريا ١٩٨٢

* الناس اللى مامعاهاش. مسرحيتان من فصل واحد. طبعتان. أدب الجماهير. ابريل ١٩٧٢ ومايو ١٩٨٤
* حاملات البلاليص. مسرحية فى ٣ فصول. أدب الجماهير يونيو ١٩٨٦
* عفوا رئيس الديوان. • مسرحيات من فصل واحد. أدب الجماهير. مارس ١٩٨٧

---

* أوراق أدبية. أدب الجماهير. ديسمبر ١٩٨٠

أدب الطلائع

---

* حلوان شامة. قصص طويلة. ٣ طبعات. أدب الجماهير. فبراير ١٩٨٢ وأكتوبر ١٩٩١. ورؤيا بالاسكندرية مع دار آزال ببيروت تحت اسم (حكاية الأمير سيف والأميرة شامة). فبراير ١٩٩٠
* أمن الذئاب. قصة طويلة. رؤيا. نوفمبر ١٩٨٨
* تعظيم سلام. قصص. طبعتان. أدب الجماهير. يونيو ١٩٨٩. واقليم شرق الدلتا الثقافى. مارس ١٩٩٥
* الأسد ينظر فى المرآة. قصص. الحقيقة. فبراير ١٩٩٠
* شجرة الدر تتلقى الأمانة. رواية. طبعتان. أدب الجماهير. مايو ١٩٩٠ وهيئة الكتاب ١٩٩٥
* بنات رشيد. مسرحية. هيئة الكتاب. نوفمبر ١٩٩٠
* تمرد رئيسة البنائين. قصص. طبعتان. أدب الجماهير. أغسطس ١٩٩١. ويافا للدراسات والأبحاث. ١٩٩٢
* براءة مارية القبطية. قصة طويلة. أدب الجماهير. سبتمبر ١٩٩٢
* مجلس الملكات. قصص. قطر الندى. أغسطس ١٩٩٦

صدر حديثا :

▪ استناس الفراغ	شعر	كريم عبد السلام
▪ ليلة ٢٠ فبراير	شعر	أشرف يوسف
▪ سكتم.. بكتم	شعر	هشام علوان

تحت الطبع

▪ عنقودة وسمرة	رواية	فؤاد حجازى

• المشي بمحاذاة رجل يشبهني - شعر هشام الصباحي

رقم الإيداع . .   : ٩٦/١٤٤٥٤
الترقيم الدولى : I.S.B.N
977-5636-30-2

رواية تفسح "الواقعية الاشتراكية" المجال فيها "للسريالية" و"العبث"، وتعلن قواعد جديدة، أولها "ألا يسمى أي شيء باسمه الحقيقي" وينسحق من لايتماشى مع هذه القاعدة الجديدة، ويصيبهم الجنون وهم يبحثون عن لغة جديدة.

د. مارينا سعاغ
كتاب: حدود حرية التعبير
"رسالة دكتوراه - جامعة استكهولم"

